تفسير إبن كثير

* قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره ، وهو الخالق لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، المقدر لكل شيء ، فقال : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا) أي : نظراء وأمثالا تعبدونها معه (ذلك رب العالمين) أي : الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم .وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى : (خلق السموات والأرض في ستة أيام) [الأعراف : 54] ، ففصل هاهنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء ، فذكر أنه خلق الأرض أولا ؛ لأنها كالأساس ، والأصل أن يبدأ بالأساس ، ثم بعده بالسقف ، كما قال : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) الآية [البقرة : 29] ، .فأما قوله : (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) [النازعات : 27 - 33

] ففي هذه الآية أن دحي الأرض كان بعد خلق السماء ، فالدحي هو مفسر بقوله : (أخرج منها ماءها ومرعاها) ، وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه ، فإنه قال :وقال المنهال ، عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال : (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) [المؤمنون : 101] ، (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) [الصافات : 27] ، (ولا يكتمون االله حديثا) [النساء : 42] ، (واالله ربنا ما كنا مشركين) [الأنعام : 23] ، فقد كتموا في هذه الآية ؟ وقال : (أم السماء بناها) إلى قوله : (دحاها) [النازعات : 27 - 30] ، فذكر خلق السماء قبل [خلق] الأرض ثم قال : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) إلى قوله : (طائعين) فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ؟ وقال : (وكان االله غفورا رحيما) [النساء : 96] ، (عزيزا حكيما) [النساء : 56] ، (سميعا بصيرا) [النساء : 58] ، فكأنه كان ثم مضى .قال - يعني ابن عباس - : (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور

، (فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء االله) [الزمر : 68] ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الأخرى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)وأما قوله : (ما كنا مشركين) (ولا يكتمون االله حديثا) ، فإن االله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فقال المشركون : تعالوا نقول : " لم نكن مشركين " ، فيختم على أفواههم ، فتنطق أيديهم ، فعند ذلك يعرف أن االله لا يكتم حديثا ، وعنده (يود الذين كفروا) الآية [الحجر : 2] .وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء ، فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحى الأرض ، ودحيها : أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله : (دحاها) وقوله (خلق الأرض في يومين) فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السماوات في يومين .(وكان االله غفورا رحيما) [النساء : 96] ، سمى نفسه بذلك ، وذلك قوله ، أي : لم يزل كذلك ; فإن االله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلفن عليك القرآن ، فإن كلا من عند االله عز وجل .قال البخاري : حدثنيه يوسف بن عدي ، حدثنا عبيد االله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال

- هو ابن عمرو - بالحديث .فقوله : (خلق الأرض في يومين) يعني : يوم الأحد ويوم الاثنين .